آيات قرآنية لم تكن قد نزلت وقت ارسالها مما يدل على انها قد وضعت فيما بعد (١) ، ويرتاب ميلر فى أن رسالة قد وجهت من النبى الى هرقل ، ولكنه مع ذلك يقدم ملخصا لحوادث السفارات النبوية كما وردت فى السيرة (٢)

أما نحن فلسنا نرى من الوجهة التاريخية ما يبعث على الشك فى صحة هذه السفارات النبوية ، بل نلمس بالعكس كثيرا من الادلة والقرائن على صحة معظم الوقائع التى اقترنت بها . وقد تبالغ الرواية الاسلامية فى بعض الوقائع حسبما اشرنا اليه فيما تقدم ولكن فى تعيين الرواية الاسلامية للتواريخ والاشخاص والامكنة ، وفى اتفاقها على كثير من الوقائع ، وفى موافقة الرواية الكنسية والبيزنطية لكثير منها خصوصا فيما يتعلق برسالة النبى الى قيصر وكيروس - فى ذلك كله ما يؤيد صحة كثير من هذه الاحداث الدبلوماسية الاسلامية الاولى . وانما يتطرق الشك فى نظرنا الى النصوص والصيغ التى تقدمها الرواية الاسلامية للكتب النبوية . ذلك انها لم ترد جميعا فى رواية ابن اسحاق اقدم مؤرخى السيرة ؛ وقد ورد بعضها بعد ذلك فى كتاب الواقدى الذى لم يصلنا منه سوى شذور قليلة ، وفى كتاب ابن عبد الحكم المصرى ، ثم فى الصحيحين (صحيح البخارى وصحيح مسلم) وفى الطبرى وغيره من الروايات المتقدمة (٣) ولكنها ترد بصيغ وألفاظ مختلفة مما يحمل الشك فى صحة هذه النصوص . وأكبر الظن أن هذه النصوص قد وضعت ، ورويت فيما بعد باعتبارانها تمثل أقرب الصور التى صيغت فيها الكتب النبوية ، وقدمها كتاب السيرة على انها أرجح النصوص المحتملة . بيد أن هذا الشك فى صيغ الكتب النبوية لا يتعدى الحقائق التاريخية التى تنهض الادلة والقرائن على صحة الكثير منها

لقد كانت السفارات النبوية حادثا سياسيا عظيما فى حياة النبى العربى ؟

محمد عبد الله عنان
المحامى

(١) G. Weil : Mohamed der prophet p. 198

(٢) Mueller : Der Islam - I - 148

(٣) توفى ابن اسحق سنة ١٥١ هـ — والواقدى ٢٠٧ هـ ، وابن عبد الحكم ٢٥٧ هـ ، والبخارى ٢٦٥ هـ ، ومسلم ٢٦١ هـ والطبرى ٣١٠ هـ

خالد بن الوليـــد

القائد الذى لم يهزم قط (١)

للدكتور عبد الوهاب عزام

كان شرف قريش قبل الاسلام لبنى عبد مناف وبنى مخزوم ، وكان شرف بنى مخزوم الى المغيرة بن عبد الله بن مخزوم حتى آثر بعض ذريته اسم المغيرى على اسم المخزومى . وكان هشام بن المغيرة يسمى رب مكة ، ولما مات أرخت قريش بموته ، وكان ابنه ابو جهل زعيما من زعماء قريش . والوليد بن المغيرة أخو هشام كان أكبر رجل فى مكة . وكان يلقب الوحيد ، وريحانة قريش . ولما كلم زعماء قريش أبا طالب فى أمر النبى عرضوا عليه أن يأخذ عمارة بن الوليد ويسلم اليهم محمدا فقالوا كما روى ابن هشام : « يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا فهو لك » .

وقال المفسرون فى قوله تعالى : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » . ان المشركين عنوا الوليد بن المغيرة فى مكة وعروة بن مسعود الثقفى فى الطائف . وقالوا فى الآيات « ولا تطع كل حلاف مهين » — الى ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين » والآيات : « ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا » . أنها نزلت فى الوليد بن المغيرة ومن أجل التنافس بين بنى عبد مناف وبنى مخزوم كانت عداوة هؤلاء للاسلام . روى ابن هشام قول ابى جهل ، « تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى اذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان ، قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك مثل هذه ؟ »

كان للوليد بن المغيرة عشرة بنين أو ثلاثة عشر ، أسلم منهم ثلاثة عمارة وهشام وخالد .

وأم خالد لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية اخت ميمونة

(١) اضطر فى ضيق الحال الى انتخاب الحوادث فجعله للعبرة الخالدة

أم المؤمنين ، ولبابة الكبرى زوج العباس ، وكانت لبابة الكبرى منجبة أنجبت سبعة من بنى العباس يقول فيهم الراجز :

ما ولدت حليلة من بعل فى جبل نعلبه أو سهل
كسبعة من بطن أم الفضل أكرم بهامن كهلة وكهل!

وحسب أختها انجابا أنها ولدت خالدا .

اتفق الرواة على أن خالدا مات سنة احدى وعشرين ، وقال القسطلانى : وكان له بضع وأربعون سنة . فمولده حول خمس وعشرين قبل الهجرة أو اثنتى عشرة قبل البعثة .

وكان خالد قائد فرسان قريش ، وذاع صيته بما فعل فى أحد إذ فجىء المسلمين من خلفهم حين ترك رماتهم مواقفهم فهزم المسلمون بيقظة خالد ومهارته . وهو يومئذ دون الثلاثين . وقد شارك فيما كان بين المسلمين وقريش من حرب الى غزوة الحديبية ، وكان يومئذ قائد الفرسان ، وتقدم بهم من مكة الى كراع الغميم ليرد المسلمين

اسلامه فخالد

روى ابن اسحاق عن عمرو بن العاص : « خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبل الفتح وهو مقبل من مكة مقبل فقلت : أين ياأبا سليمان؟ فقال والله قد استقام المنسم ، وان الرجل لنبى ، أذهب والله فأسلم ، فحتى متى ؟ قلت والله ما جئت الا لأسلم . فقدمنا المدينة على رسول الله فتقدم خالد ابن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت يارسول الله انى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر . فقال رسول الله ياعمرو : بايع ، فان الاسلام يجب ما كان قبله ، وان الهجرة تجب ما كان قبلها فبايعته ثم انصرفت » .

دخل خالد فى جند المسلمين يومئذ وسرعان ما شارك فى الغزوات وأبلى فيها . فلم يمض على اسلامه شهران حتى شهد غزوة (مؤتة) فى جمادى الأولى من السنة الثامنة . وكانت موقعة ثانية نازل فيها المسلمون أضعافهم من العرب والروم . وتهافت القواد الثلاثة الذين ولاهم الرسول واحدا بعد الآخر : زيد بن ثابت ، فجعفر بن أبى طالب ، فعبد الله بن رواحة ، فاختار الناس خالدا فدافع العدو وانحاز بالمسلمين حتى نجا ، بهم وقفل الى المدينة فلقى الناس القافلين يعيرونهم : يقولون يا فرار ، فقال الرسول صلوات الله عليه ، بل هم الكرار ، وسمى فعل خالد فتحا ، ولقبه سيف الله . فى البخارى أن رسول الله قال : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب — وعيناه تذرفان — حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم » ولاريب أن من الفتح أن يخلص خالد هذا الجيش القليل من ثورة جيش عرمرم جمع الروم والعرب فلا ينتل منه الا اثنا عشر . ولا ريب أن بعضهم قتل قبل تولى خالد القيادة » وروى البخارى عن قيس بن أبى حازم قال : سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف ، وصبرت فى يدى صفيحة لى يمانية » فانما أنقذ خالد جنده اذ دفع بنفسه فى نحر العدو حتى دقت فى يده تسعة أسياف وانها لبطولة .

وبعد قليل سار المسلمون لفتح مكة ، وكان خالد قائد الجنبة اليمنى وفيها جماعة من أسلم وغفار وسليم ومزينة وجهينة وغيرها من القبائل ، وأمره الرسول أن يدخل مكة من أسفلها ، فكان بينه وبين قريش قتال يسير قتل فيه نفر من الفريقين

وبعثه رسول الله بعد الفتح الى بنى جذيمة داعيا الى الاسلام ، فقتل جماعة منهم حين لقوه بالسلاح ، فلما نمى الخبر الى الرسول قال : « اللهم انى ابرأ اليك مما صنع خالد » وودى القتلى . واعتذر خالد بأن عبد الله بن حذافة السهمى قال له : أن رسول الله أمرك بقتالهم لامتناعهم عن الاسلام . ومهما يكن فقد أخذ المسلمون على خالد تعجله فى قتال القوم . ولكن لم تذهب هذه الهفوة بحسن بلائه .

ثم بعثه الرسول فهدم العزى فى بطن نخلة ، وكانت فى سدانة بنى سليم ، (ولا نجد ذكر خالد فى موقعة حنين ، الا ما روى ابن اسحاق أن الرسول وجد امرأة مقتولة فأرسل الى خالد أن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدا أو امرأة أو عسيفا .

ولما كانت غزوة تبوك بعث الرسول خالدا الى أكيدر بن عبد الملك أمير دومة الجندل فأسره وجاء به الى الرسول فصالحه

ولما وضعت الحرب أوزارها بين المسلمين والعرب وأرسل الرسول دعاته الى أرجاء الجزيرة بعث خالدا الى بنى الحارث بن كعب فى نجران فاستجابوا لدعوته وأقام فيهم يعلمهم الاسلام ، وكتب الى الرسول باسلامهم ، فكتب اليه الرسول أن يقدم مع وفدهم . وفى ابن هشام وصبح الأعشى نص الكتابين .

فى حروب الردة

ولما سير ابو بكر الجيوش لحرب المرتدين رمى بابن الوليد

أقرب الأعداء الى المدينة : طليحة بن خويلد الأسدى ومن شايعه ؛ ثم مالك ابن نويرة اليربوعى . فسار خالد الى متنبى بنى أسد فأدار عليه فى (بزاخة) حربا أكذبت دعوته وأذابت غشه . ثم يمم مالك ابن نويرة وكان قد مالأ سجاح المتنبئة ، فلما جاء البطاح وجد القوم قد تفرقوا حيث سراياه ، فرجعت بأسارى منهم مالك ابن نويرة . ثم قتل الأسارى . ونقم الناس من خالد بعد أن شهد بعض الجند أنهم أجابوا أذان المسلمين بالأذان اعلاما باسلامهم . وروى بعض المؤرخين أن خالدا أمر بادفاء الاسارى فى ليلة باردة ، وادفاء الأسارى قتلهم فى لغة كنانة ، فسارع الجند الى قتلهم ، وما أراد خالد القتل . وزاد ارتياب الناس بخالد حين تزوج أم تميم بنت المنهال امرأة مالك . وجاء الى ابى بكر ابو قتادة الانصارى مفارقا خالدا ، ومتمم أخو مالك مستديا عليه . ورأى عمر أن يقاد خالد بمن قتل . فقال ابو بكر : هيه ياعمر ، تأول خالد فأخطأ ! فارفع لسانك عن خالد . ثم كتب الى خالد يستقدمه فقدم وأبان عن عذره فقبل منه الخليفة . قال الطبرى : « وأقبل خالد بن الوليد قافلا حتى دخل المسجد وعليه قباله عليه صدأ الحديد معتجرا بعمامة له قد غرز فى عمامته أسهما ، فلما أن دخل المسجد قام اليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها . ثم قال أرئاء ؟ قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته . والله لأرجمنك بأحجارك . ولا يكلمه خالد بن الوليد ، ولا يظن الا أن رأى أبى بكر على مثل رأى عمر فيه ، حتى دخل على أبى بكر . فلما أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر اليه فعذره أبو بكر وتجاوز عما كان فى حربه تلك . وان فى عفو أبى بكر عن خالد لبرهانا على أن فعلته لم تكن بحيث ظن عمر .

وكان أبو بكر وجه عكرمة بن أبى جهل ابن عم خالد الى بنى حنيفة قوم مسيلمة المتنبى فى اليمامة وأتبعه شرحبيل بن حسنة فتعجل عكرمة الحرب قبل أن يؤازره شرحبيل فهزم ، وعنفه أبو بكر وبعثه مددا للمحاربين فى عمان ، فلما فرغ سيف الله من بنى أسد وتميم سيره أبو بكر الى اليمامة ، فرأى أن يؤمن طريق جيشه بابعاد القبائل الموالية لمسيلمة وسجاح ، فكتب الى بنى تميم فطردوهم من الجزيرة ، وتقدم خالد لطيته فاذا شرحبيل قد سبقه الى الحرب وباء بالهزيمة . وكانت بين خالد وبين مسيلمة موقعة عقرباء الطاحنة التى تهافت فيها أنجاد المسلمين . وكادت تقضى بالفلج لبنى حنيفة ، ولكن خالدا أمر الناس أن يمتازوا ليعرف بلاؤهم ، فتميز الناس وأحسنوا البلاء . وحمى الوطيس ، وماطل النصر بلاء الابطال حتى رأى خالد أن الحرب دائرة مادام مسيلمة قطبا لها ، فبرز ودعا الى المبارزة ، وارتجز ونادى بشعار المسلمين يومئذ : « يامحمداه ! » وصمد الى مسيلمة يحطم الصفوف اليه ، وآزره أبطال جنده فلم ينثن الا ومسيلمة قتيل . فقضى المسلمون بالنصر وجاء بنو حنيفة مستسلمين فصالحهم خالد ، وجاءه أمر أبى بكر بقتلهم فأعلمه أن عهده قد سبق ، وحفظ للقوم ذمتهم .

فتح العراق

لم يكد يفرغ خالد من مسيلمة حتى وجه أبو بكر لفتح العراق لحرب الفرس : الأسد الذى كانت القبائل تخشاه وتتحاماه ، وأمره الخليفة أن يبدأ بالأبلة ثم يفتح الى الشمال صوب الحيرة ، كما أمر عياض بن غنم أن يبدأ بالمضيح فى الشمال ثم يتجه الى الجنوب شطر الحيرة ، كذلك وأى القائدين سبق الى الحيرة فهو الأمير على صاحبه

كتب خالد الى هرمز والى الأبلة يدعوه الى الاسلام وينذره الحرب ، ثم التقى الجمعان قرب كاظمة فى موقعة ذات السلاسل ، فبارز خالد هرمز فقتله فحقت الهزيمة بقتله ، ثم سار خالد يقود جيشين من الجند والرعب ، فكانت وقائع المذار والوجلة ، وأليس ، ومغيثيا ، وخالد يسير من نصر الى نصر ، ويوالى الكتب والانخاس الى أبى بكر ، فلما جاءته البشرى بفتح مغيثيا قال : « يا معشر قريش . عدا أسدكم على الأسد فقلبه على خرازيله ، عجزت النساء أن يلدن مثل خالد ! »

خالد فى الحيرة بعد شهرين من دخوله العراق ، وهاهو فى الثانى عشر من ربيع الاول سنة اثنتى عشرة يكتب كتاب الصلح لرؤساء الحيرة

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماعاهد عليه خالد بن الوليد عديا وعمرا ابنى عدى ، وعمرو بن عبد المسيح ، وأياس بن قبيصة وحيرى بن أكال ، وهم نقباء أهل الحيرة ، ورضى بذلك أهل الحيرة وأمروهم به — عاهدهم على مائة وتسعين ألف درهم تقبل فى كل سنة جزاء عن أيديهم فى الدنيا رهبانهم وقسيسهم الا من كان منهم على غير ذى يد حبيسا عن الدنيا تاركا لها ، وعلى المنعة . وإن لم يمنعهم فلا شىء عليهم حتى يمنعهم . وإن غدروا بفعل أو قول فالذمة بريئة منهم » .

تتابعت القرى على الصلح بعد الحيرة . ومن الحيرة وجه خالد

كتبه إلى أمراء الفرس ومرازبتهم يدعوهم الى الاسلام ، وينذرهم الحرب . وصار خالد أمير العراق كلها ففتح الحيرة « لعهد أبي بكر فمد فتوحه الى الشمال فى الأرض التى عهد الى عياض فتحها ، طوى الأرض الى الانبار فاعتصم الناس بالحصون وخندقوا . فحز اضعاف الابل وألقاها فى الخندق وعبر عليها ، فاضطر أهل المدينة الى المصالحة ، ثم سار الى عين التمر وقد اجتمع له بها العرب والفرس . وخرج للقائه عقبة ابن أبى عقبة فى جموع من تغلب وإياد والنمر فانقض خالد على عقبة وهو يسوى صفوفه فاحتضنه وأسره وكفاه عناء الصفوف والزحوف فانهزم جنده ، فهل عرفنا قبل خالد قائدا يخطف القواد ، ليكفى الجند عناء الجلاد ؟

ثم توجه تلقاء عين التمر فنزل من فيها على حكمه .

أين عياض بن غنم ؟ فى دومة الجندل تكالبت عليه الاعداء وأخذت عليه الطريق فاستغاث خالداً فأجابه : « من خالد الى عياض ، إياك أريد » .

لبث قليلا تأتك الجلائب يحملن أسادا عليها القاشب
كتائب يتبعها كتائب

وسار الى دومة الجندل فاجتمعت لحربه كلب وغسان وبهراء وتنوخ ، وعلى الناس رئيسان أكيدر بن عبد الملك الذى أسره خالد فى غزوة تبوك ، والجودى بن ربيعة ، قال الاكيدر :

« أنا أعلم الناس بخالد . لا أحد أيمن طائرا منه ولا اجد فى حرب ، ولا يرى وجه خالد قوم أبدا قلوا أو كثروا الا انهزموا عنه ، فأطيعونى وصالحوا القوم » فلما أبوا قال : لن أمالئكم على حرب خالد ، وتركهم لينجو بنفسه ، ولكنه طاف يبغى نجوة من هلاك فهلك .

أخذ خالد عليه الطريق وقتله جزاء غدره بما كان بينه وبين المسلمين من عهد ، ثم أتى دومة الجندل ففتحها وتألب أهل الفرس وأهل العراق على المسلمين حين علموا غيبة خالد ، فرجع وهزم أعداءه فى مواقع الحصيد والخنافس والمضيح والثنى والزميل .

ثم توجه الى الفراض وهى بلدة على الفرات عندها حدود العراق والشام والجزيرة ، وملتقى دولتى الفرس والروم . فلم يرهب خالد جموع الفرس والروم والعرب ومزقهم كل ممزق حتى روى الرواة أنه قتل فى المعركة والطلب مائة ألف .

كانت الموقعة منتصف ذى القعدة من السنة الثانية عشرة . فقد طوى خالد وادى الفرات ما بين الأبلة والفراض فى أقل من أحد عشر شهرا وانتصر فى خمس عشرة موقعة لم يهزم فى واحدة ، أيت ذلك شجاعته ، وكفايته واقتحامه الغمرات ، وقتله القواد وصيته الذى ملأ جند بقيا وعدوه رعبا .

من الفراض الى مكة فى اثنى عشر يوما

ورحل خالد قافلا الى الحيرة فى الخامس والعشرين من ذى القعدة . وولى على الجيش عاصم بن عمرو ، وأظهر للناس أنه سيسير فى الساقة وأسر الى خاصته أنه على عزمة ، الحج ثم طوى الفيافى ما بين الفراض الى مكة فأدرك الحج ، فلا محالة قد قطع هذه الصحارى المترامية فى اثنى عشر يوما . قال الطبرى :

« وخرج خالد حاجا لخمس بقين من ذى القعدة مكتتما بحجه و معه عدة من اصحابه يعتسف البلاد حتى أتى مكة بالسمت ، فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل ولا رئبال . فسار طريقا من طرق الجزيرة لم ير طريق أعجب منه ولا أشد على صعوبته منه . فكانت غيبته عن الجند يسيرة فما توافى الى الحيرة آخرهم حتى وافاهم مع صاحب الساقة الذى وضعه . فقدما معاً وخالد وأصحابه محلقون لم يعلم بحجه الا من أفضى اليه بذلك من الساقة . . .

وكتب أبو بكر الى خالد يأخذ عليه مسيره الى الحج وترك الجند بغير اذن ، ويأمره بالمسير الى الشام مددا لمن بها من الغزاة . وأن يترك نصف الجيش مع المثنى ويسير بنصفه ، فسار فى صفر من السنة الثالثة عشرة .

وكان رحيل خالد من العراق الى الشام معجزة من معجزات المسير ، وأعجوبة من أعاجيب المخاطرة ، فقد قطع بالجيش الجرار صحراء ليس بها ماء يقطعها الراكب المخف فى خمسة أيام قطعها فى خمس ليال ولا ماء الا ما فى أجواف الابل : أعطشها وسقاها وكظم افواهها ، فسار يسيرها فى مراحل الطريق فيرتوى الناس والخيل .

وقد خرج خالد من مفازته على بهراء فصبحهم بالقتال وهم لا يحسبون جيشا من الجن يسلك اليهم هذه المفازة ، وحارب قبائل من العرب فى طريقه حتى بلغ ثنية العقاب على مقربة من دمشق فنشر عليها راية سوداء من رايات الرسول صلوات الله عليه . ثم حارب غسان فى مرج راهط وصار الى بصرى ففتحها ، ثم أدرك المسلمين فى

معسكرهم على اليرموك أو أجنادين) . فماظنك بهذا النصر السائر ، والفتح المسافر ، الذى يطوى البلاد والصحارى والقبائل فى عزمات الجند القليل ؟

خالد فى الشام

وافى خالد المسلمين معدين لمنازلة جحافل كثيفة من الروم والعرب ، ووجد الجيوش مقسمة بين القواد الأربعة الذين بعثهم أبو بكر الى الشام ، أبى عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، فأراد أن يلقى الروم بجيش مجتمع ورأى موحد فخطب الناس :

« إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى . أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، فان هذا يرم له مابعده . ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية — على تساند وانتشار . فان ذلك لايحل ولا ينبغى . وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون أنه الرأى من واليكم ومحبته . قالوا فهات ، فالرأى ؟ فقال فيما قال . « هلموا فلتتعاور الامارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً ، والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم . ودعونى اليكم اليوم » .

تأمر خالد على الجيش كله وفيه قواد أسن منه وأقدم اسلاما ، ولكن اعتداد خالد بنفسه وثقة الناس به ألقت اليه بالمقاليد ذلك اليوم ، فقسم الجيش كراديس ستة وثلاثين ، وجعل على كل كردوس قائداً ، ثم جعل قواداً على القلب والجناحين . ثم أدار المعركة طول النهار وبعض الليل ، وأصبح فى فسطاط قائد الروم قد ملك النصر كله وبلغ من العدو مانمنى .

كتب كتاب الفتح باسم خالد . وبعد قليل جاء المسلمين نعى أبى بكر وولاية عمر .

هل عزل عمر خالدا

لاريب أن عمر كان ينقم من خالد هنات فى حروبه ، وانه أشار على أبى بكر بالاقتصاص منه لمالك بن نويرة ، وما كانت تعجبه جرأته واستبداده فى تقسيم الغنائم والأرزاق . وكان خالد معتداً برأيه كتب اليه أبو بكر يأمره ألا يعطى شيئا فأجابه خالد : « إما أن تدعنى وعملى والا فشانك بعملك ، هذا وأشباهه أسخط عمر على خالد وما كان عمر ليداهن فى دينه وقد كثرت الاقوال فيما فعل عمر بخالد وينبغى أن نذكر أن خالدا لم يول على الشام من قبل أبى بكر ولا عمر ولكنه بعث مددا لغزاة الشام . فعمر ماعزل خالدا عن ولاية الشام أو قيادتها ولكن خالدا أمر نفسه يوم أجنادين وتيمن الناس به ، فكان حريا أن يكون أحد القواد . فلما جاء كتاب عمر بضم خالد الى أبى عبيدة قال الناس ماقالوا فى عزل خالد . وقد خطب عمر مرة فاعتذر عما فعل ، فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة « عزلت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضعت لواء رفعه . فقال إنك قريب القرابة حديث السن مغضب لابن عمك . »

ولكن خالدا لايعزل نفسه العظيمة ، ولا كفايته التى لاتعوض فلما اجتمع القواد على دمشق يحاصرونها نزل خالد على الباب الشرقى فاقتحمه اقتحام الابطال ودخل المدينة عنوة فسارع الرؤساء الى أبى عبيدة يصالحونه فالتقى عنوة فى وسط المدينة خالد الفاتح والقواد الآخرون . فكتب كتاب الفتح باسم خالد . فلما جاءت عمر الانباء قال : أمر خالد نفسه . يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال منى .

ولم يزل خالد مشاركا فى فتوح الشام كافيا لما يعهد اليه من حرب أو ولاية بقية حياته

هذه سنة أحدى وعشرين من الهجرة وخالد العظيم فى سن الخامسة والاربعين على فراش الموت فى حمص وأمامه مجد عشرين سنة مظفرة لم تنكس له راية ، ولا أعيا عليه فتح ، ولم يختلف عليه اثنان من جنده ، فاستمع البطل العظيم والقائد الباسل يقول :

« لقد طلبت القتل فى مظانه فلم يقدر لى الا أن أموت على فراشى . وما من عملى شىء أرجى عندى بعد أن لا اله الا الله من ليلة بتها وأنا متترس . والسماء تهلى بمطر الى صبح حتى نغير على الكفار — ثم قال : « اذا أنا مت فانظروا فى سلاحى وفرسى فاجعلوه عدة فى سبيل الله » .

ثم أوصى وصية ، فمن اختار أميناً على انفاذها ؟ عمر بن الخطاب ! ان النفوس العظيمة لتختلف الا فى العظمة التى تؤلف بينها ، والتى تأبى أن تصيخ إلى سفساف الأمور . اختلف الرجلان على أمور ، وجمعتهما همة عاليه ومطالب عظيمة .

لقد بكى خالدا الاسلام والمسلمون حتى عمر : سمع عمر البكاء على خالد فقال :

ما على نساء الوليد أن يسفحن على خالد دموعهن . . وسمع راجزا يذكر خالدا فقال والاسف ملء فؤاده : « رحم الله خالدا »

عبد الوهاب عزام

(١) فى اسم المؤرخين اختلاف فى تاريخ موقعة اليرموك . ولايتسع المجال هنا لتجلية الحقيقة .